

الخطبة الإذاعية (05) : خ 1 - الـرزق ، خ 2 - الحاجز بين البحرين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-1987

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، يا مجيب دعاء المضطرين، يا ولي عبادك المؤمنين، يا غاية آمال العارفين، يا منتهى أمل الراجين، يا حبيب قلوب الصادقين، يا خير من سئل، ويا أرحم من استرحم، يا من لا يخفى عليه إغماض الجفون، ولا لحظ العيون، ولا ما استقر في المكنون، كيف نستدل عليك، ونحن في وجودنا مفتقرون إليك، قيل للإمام علي كرم الله وجهه: حدثنا عن ربك، قال: « سبحان ربي، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، فوق كل شيء، وليس تحته شيء، وهو في كل شيء، لا كشيء في شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ليس بجسم ولا صورة، ولا محدود ولا متبعض، ولا متجزئ ولا متناه، ولا يُسأل عنه بمتى كان، لأنه خالق الزمان، ولا يُسأل عنه بأين هو، لأنه خالق المكان، فكل ما خطر ببالك فانه بخلاف ذلك، علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ».

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلقت فسويت، وقدرت وقضيت، وأمت وأحييت، وأمروا وشفيت، وعافيت وابتليت، وأغنيت وأقنيت، وأضحكت وأبكيت، والمرجع والمآل إليك، نحن بك وإليك. ينادي الحق جل وعلا على عباده المؤمنين:

(( يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِسْكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِسْكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِسْكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ))

[ مسلم عن أبي ذر ]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ..

سيدي يا رسول الله، أشهد أن الذين بهرتهم عظمتك لمعزورون، وأن الذين افتدوك بأرواحهم لهم  
الرابحون يا للعجب، أي إيمان، وأي عزم، وأي مضاء، أي صدق، وأي طهر، وأي نقاء، أي تواضع،  
وأي حب، وأي وفاء.

فيوم كنتَ طفلاً، يا سيدي يا رسول الله، عزفتَ عن لهُو الأطفال، وعن ملاعبهم، وعن أسمارهم،  
وكنت تقول لأترابك إذا دعوك إلى اللهُو: أنا لم أخلق لهذا.  
ويوم جاءتك رسالة الهدى، وحُمّلت أمانة التبليغ، قلت لزوجتك وقد دعيتك إلى أخذ قسط من الراحة :  
إنقضى عهد النوم يا خديجة.

ويوم فُتحت مكة، التي آذتك وأخرجتك، وكادت لك، وأتمرت على قتلك، وقد ملأت رياتك الأفق ظافرةً  
عزيزة، قلت لخصومك بالأمس: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ويوم دانّت لك الجزيرة العربية، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، صعّدت  
المنبر، واستقبلت الناس باكياً وقلت لهم : من كنت جلدت له ظهراً، فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت  
أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه.

ونحن نقول مع من قال، يا سيدنا يا رسول الله، ما أعقلك، وما أرحمك، وما أوصلك، وما أحكمك،  
جزاك الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته، لقد كنت رحمة مهداة، ونعمة مجزاةً.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الهداة المهديين الذين  
اختارهم الله له تكريماً وتأييداً.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

## الرزق:

### 1 - الناس في كسب المال ثلاثة أطباق:

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان، الناس في كسب المال ثلاثة أطباق، رجل شغله معاشه عن معاده  
فهو من الهالكين، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين، ورجل شغله معاشه لمعاده فهو من  
المقتصدين، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

(( تكون أمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق: أما الطبق الأول فلا يرغبون في جمع المال، ولا ادخاره،  
ولا يسعون في اقتنائه، واحتكاره، إنما رضاهم من الدنيا، ما سد جوعاً وستر عورة، ما بلغ بهم

الآخرة، فأولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. أما الطبقة الثانية: فيحبون جمع المال من أطيب سبله، وصرفه في أحسن وجوهه، يصلون به قرابتهم وأرحامهم، ويؤثرون به إخوانهم، ويواسون فيه فقراءهم، ولأن بعض أدهم على الحجارة، أسهل عليه من أن يكتسب درهماً من غير حله، وأن يضعه في غير وجهه، وأن يمنعه من يستحقه، وأن يكون له خزاناً إلى حين موته، فأولئك إن نوقشوا عذبوا، وإن غفي عنهم سلموا. وأما الطبقة الثالثة: فيحبون جمع المال مما حلّ وحرّم، ومنعه من فرض له، وإن أنفقوه أنفقوه إسرافاً، وإن أمسكوه أمسكوه بخلًا واحتكاراً، أولئك ملكت الدنيا أزمة قلوبهم، حتى أوردتهم النار بذنوبهم ((

[ورد في الأثر]

وقد روي عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال : « الدنيا حلالها حساب، وحرامها عذاب، وشبهتها عقاب ». «

[رواه الدارقطني والديلمي عن ابن عباس]

## 2 - الإسلام حثّ على طلب الرزق :

لقد حضنا الله على طلب الرزق، ويسر لنا سبله فقال تعالى:

( وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا )

[سورة النبا]

وقال:

( وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ )

[سورة الأعراف]

وقال:

( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )

[سورة الجمعة]

وفي الحديث الشريف:

(( إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا ))

[الطبراني عن ابن عباس بسند صحيح]

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق »، ويقول: « اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ». وقال أيضاً: « استغن عن الناس يكن أصون لدينك، وأكرم لك عليهم ». «

ولكن دفعاً للقلق من أجل الرزق، ومنعاً من ارتكاب المعاصي، واحترازاً من أن يقف الإنسان موقف مذلة طمأن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم المؤمن بأن رزقه مقسوم ومضمون، وموزون، وأن رزق الله تعالى، لا يجره حرص حريص، ولا ترده كراهة كاره، وأن الله تعالى جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط، وقال صلى الله عليه وسلم:

**(( إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله عباد الله تعالى، وأجملوا في الطلب، واستجملوا مهنكم، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية فإن الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته ))**

[حديث صحيح بشواهد، ابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية والحاكم وابن حبان]

وقد ورد في بعض الآثار القدسية:

**(( عبيد خلقت السماوات والأرض، ولم أعي بخلقهن، أفيعيني رغي أسوقه لك كل حين؟ لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإن خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك.. وعزتي وجلالي، إن لم ترض بما قسمته لك، فلاسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، ولا أبالي وكننت عندي مذموماً ))**

[ورد في الأثر]

لذلك نهانا ربنا جل وعلا، أن نتشاغل بما ضمنه لنا عما افترضه علينا.

### 3 - على المؤمن تحري الرزق الحلال:

ولكن ليس كل رزق حلالاً، ولا كل كسب مشروعاً، فالمؤمن يتحرى الحلال في كسبه، لأنه يعلم أن المال الحرام، يذهب من حيث أتى، وأنه يتلف، ويؤتلف صاحبه، وهو يعلم علم اليقين، أنه من كان كسبه حراماً سقط من عين الله، ولأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض، أهون من أن يسقط من عين الله، لذلك أمرنا الله عز وجل بصريح الآية المحكمة أن نأكل الحلال الطيب، فقال:

**( يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ )**

[سورة البقرة]

والحلال ما كان حلالاً في ذاته، وفي طريق كسبه، فهو يحل لكم، ويُبقي على الصلة بينكم وبين ربكم، والطيب ما طابت به أجسامكم ونفوسكم وحياتكم.

وقد يكون الحلال الطيب أقل من الحرام الخبيث من حيث الكم، وفي هذا ابتلاء من الله لعباده المؤمنين، فمن نجح في هذا الامتحان، وأثر القليل من الحلال الطيب على الكثير من الحرام الخبيث، بارك الله له

في ماله، فانتفع منه وفي أهله وأولاده فسعد بهم، وحفظ الله له صحته ومكانته، وضمن له سعادته في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى:

**( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا )**

[ سورة الكهف ]

ولحكمة بالغة جعل كسب الحلال الطيب أصعب، وأشق من كسب الحرام الخبيث، ليبتلى المؤمن ثانية في مدى حرصه على الحلال الطيب، بل في مدى حرصه على رضوان الله قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( من بات كالأ - متعباً - في طلب الحلال ، بات مغفوراً له ))**

[رواه ابن عساکر عن أنس ، والطبري عن ابن عباس]

والشرع الحنيف، حينما يأمر المؤمن يتحرى الحلال في كسبه ينهأه أشد النهي عن أن يتحرى الحرام والحرام في كسب الآخرين، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ه، وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

#### 4 - العمل المشروع سعي في سبيل الله :

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من طلب الرزق من طرقه المشروعة، وتقصى الحلال من الكسب، وابتغى كف نفسه عن المسألة، وإغناء أبويه وأهله وأولاده، لقي الله تعالى وهو عنه راض، فقال صلى الله عليه وسلم:

**(( من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسألة، وسعيًا على عياله، وتعطفًا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ))**

[رواه البيهقي]

وقد كان صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة، وقد بكر يسعى فقالوا: ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم:

**(( لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة، ويغنيها عن الناس، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان ))**

لقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذين الحديثين الشريفين :

**(( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ))**

[ البخاري عن عمر ]

إن النية وحدها تحدد قيمة العمل .. فقد يلتقط الرجل لقطة، فإن نوى أخذها فهو معتد، وإن نوى البحث عن صاحبها فهو محسن، وشتان بين العدوان والإحسان.

فالعامل على إطلاقه أساس الرقي عند الله ، فمن العمل الصالح الذي تكسب به رزقك أيها المؤمن، إذا بني هذا العمل على الإتقان والنصح وعدم الغش، واهتم صاحبه في تطويره وتحسينه، توصلاً لخدمة الخلق، الذين هو عيال الله، وترفق بالناس بالأجر أو السعر وعاملهم باللين والحكمة، كان هذا العمل نفسه وسيلة لكسب رضوان الله، والفوز بنعيم الجنة الأبدي، قال صلى الله عليه وسلم:

**(( إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ))**

[ رواه الحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن عمر ]

بل ربما كان الذي يكسب رزقه حلالاً باذلاً من أجله جهداً، ووقتاً، وعرقاً، أفضل عند الله تعالى ممن انقطع للعبادة، وهو عالة على غيره يروى أن رجلاً كان يعبد الله فقيل له : ما تصنع؟ قال : أتعبد الله فسئل: فمن يطعمك؟ فقال: أخي، فقيل له: أخوك أعبد منك..

## 5 - النهي عن سؤال الناس:

والنبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن المسألة مبيناً أنها تفتح على العبد أبواب الفقر فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**(( وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدَكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ  
أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ))**

[ رواه البخاري ]

روى الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري:

**(( وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فُقْرٍ ))**

وفي الأثر أنه:

**(( من جلس إلى غني فتضع له - أي تمسكن - له ذهب ثلثا دينه ))**

[ رواه ابن جرير ]

فلا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، بل ينبغي أن يطلب الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير، فاليد المعطاءة العليا خير من اليد الممدودة السفلى.

ولقد نهانا الشرع الحنيف عن أكل أموال الناس بالباطل ، وجعله من كبائر المحرمات، حيث قال:  
 ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِنَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا  
 أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا )

[ سورة النساء ]

لم يقل الله عز وجل : لا تأكلوا أموال الناس، لقد أشارت كلمة « لا تأكلوا أموالكم »، إلى ما هو عليه  
 المؤمنون، أو إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون، من أخوة صادقة، ومشاركة وجدانية حانية،  
 يجسدها الشعور، بأن مال أخيك هو مالك، من زاوية أنه يجب عليك أن تحافظ عليه، وأن تصونه من  
 التلف والضياع، فلأن تمتنع عن أكله بالباطل من باب أولى، فإذا أكلت مال أخيك أضعفته، وفي ضعفه  
 ضعف لك، فأنت بهذا قد أكلت مالك.

وأشارت كلمة « بينكم » إلى أن المال يجب أن يكون متداولاً بين جميع أفراد الأمة، وأكله بالباطل  
 يجعله متداولاً بين الأغنياء فقط، وفي هذا تضيق على الفقراء، بل عُدْم لهم.  
 والمال قوام الحياة، وأكل أموال الناس بالباطل، عدوان على قوام حيا تهم، وهذا يستوجب غضب الله،  
 وعقابه الأليم، فالإضرار بالناس يقترب من الشرك بالله، أما أكل المال بالحق : فهو أن يكون نظير  
 عوض حقيقي، أو خدمة صحيحة، وأن يكون المأكل ماله راضياً أشد الرضا، حتى لو كشف الغطاء،  
 وهذا مستتبط من قوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِنَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا  
 أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا )

[ سورة النساء ]

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم على حرمة المال الحرام، وجعلها كحرمة الدم والعرض فقال:

(( كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ ))

[ مسلم عن أبي هريرة ]

وفيما رواه البيهقي عن عمرو ابن يثربى أنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

(( أَلَا وَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ))

[ أحمد ]

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( ... وَمَنْ انْتَهَبَ نَهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا ))

[ رواه الترمذي ]

ومن أكل أموال الناس بالباطل : الغصب، والنهب، والسلب، والرشوة، والغلول، والسرقة، والميسر، والربا، وهذه الأنواع من أكل أموال الناس بالباطل، بينة حرماتها، واضحة حدودها، وظاهرة نتائجها، لذلك تجد الكثرة الكاثرة من المسلمين يبتعدون عنها خشية أن يحلّ عليهم غضب الله ، ومن يحل عليه غضب الله فقد هوى.

ولكن هناك أنواع من أكل أموال الناس بالباطل تخفى على كثير من المسلمين بسبب توانيهم عن حضور مجالس العلم، أو عزوفهم عن سؤال أهل الذكر، وقد روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف بالسوق، ويعنف بعض التجار ويقول: « لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبي ».«

## صور من أكل أموال الناس بالباطل

### 1 - الاحتكار:

ومن أكل أموال الناس بالباطل « الاحتكار » وهو بالتعريف الدقيق، حبس مال، أو منفعة، أو عمل، والامتناع عن بيعه وبذله حتى يرتفع سعره ارتفاعاً فاحشاً غير معتاد، بسبب قلته أو انعدام وجوده في مظائه، مع شدة الحاجة إليه، والمحتكر من خلال أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون وخاطي، وقد برئت منه ذمة الله ، وقد توعد الله بالنار، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

**(( لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِيٌّ ))**

[ حديث رواه مسلم وغيره عن معمر بن عبد الله ]

وقال:

**(( الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ ))**

[ رواه ابن ماجه ]

وقال:

**(( من احتكر الطعام أربعين ليلة يريد به الغلاء ، قد برئ من الله وبرئ الله منه ))**

[رواه أحمد عن ابن عمر ]

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من ترك الاحتكار خوفاً من الله، وإشفاقاً على المسلمين، وتيسيراً عليهم فقال:

## (( من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به ))

[ قال الحافظ العراقي في تخريجه على الإحياء : أخرجه ابن مردويه من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ]

فالاحتكار: أكل لأموال الناس بالباطل، وابتزازها بافتعال قلة العرض مع كثرة الطلب، وليس هذا الربح الزائد الذي يجنيه المحتكر حلالاً، لأنه ليس نظير خدمات حقيقية يقدمها التاجر، ولم يؤخذ بالرضى الحقيقي للمشتري، إنما هو إلقاء أصحاب الحاجات إلى شراء حاجاتهم، بأكثر من أثمانها الحقيقية، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

## (( بئس العبد المحتكر ، إن أرخص الله الأسعار حزن ، وإن أغلأها فرح ))

[ ذكره الطبراني في الكبير والبيهقي عن معاذ ]

بل إن علماء الأصول بنوا حكم الاحتكار لا على النصوص الجزئية التفصيلية الخ اصة به فحسب، بل على أصول عامة، ثبتت بالاستقراء الدقيق، قال الإمام أبو يوسف رحمه الله : « كل ما أضر بالناس حبسه فهو احتكار»، وقال بعض الفقهاء المحدثين: « كل إيهام أو تضليل، من شأنه أن يزيد في الطلب على السلعة، مع قلة العرض، تمهيداً لرفع السعر فهو احتكار ».

## 2 - الغش:

ومن أكل أموال الناس بالباطل، الغش، وللغش أنواع كثيرة وصور شتى، يرجع معظمها إلى المخادعة، بإظهار شيء، وإخفاء خلافه، في باطنه. ومن ذلك الكذب في التعريف فيعرف الرديء بأنه جيد، وذو السعر الرخيص بأنه ذو السعر الغالي. ومن الغش دس الرديء في أثناء ا لجيد، وبيعه جميعاً بقيمة الجيد دون بيان الواقع والحقيقة. ومن الغش أن يقول البائع : اشتريته بكذا، كذباً، ليخدع المشتري في هامش ربحه، ومن الغش إخفاء العيب والتلاعب بالوزن، والكيل والعدد، والطول والحجم والمساحة. ومن الغش تزوير منشأ البضاعة ومصدرها، أو الكذب في الإخبار عنها، ومن الغش عرضها بطريقة تزيد من مزاياها، وتخفي من عيوبها، ومن الغش توجيه المشتري إلى بضاعة رديئة كاسدة استغلالاً لجهله، ومن الغش استغلال جهل المشتري، ورفع السعر أضعافاً مضاعفة، وهذا المشتري الجهول بنوعية البضاعة وقيمتها سماه النبي صلى الله عليه وسلم « المسترسل » فقال:

## (( غِبْنُ الْمَسْتَرَسْلِ رِبَا ))

[ رواه البيهقي عن أنس ]

وقال:

## (( غِبْنُ الْمَسْتَرَسْلِ حَرَام ))

[ رواه الطبراني عن أبي أمامة ]

وهكذا فكل مالٍ يكسبه الإنسان عن طريق الغش فهو حرام، وهو سحت، وظلم، وهو من أكل أموال الناس بالباطل. والغش كما يكون بالبيع يكون في الشراء، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان لشراء بضاعتهم قبل أن يعرفوا قيمتها الحقيقية، ونهى عن كل جهالة تمكن البائع أو الشاري من الغش، وتفضي إلى منازعة. وسواء في الإثم أن تغش المسلمين، أو غيرهم، لأن الحق لا يفرق، ولا يجزأ، فلخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعِيالِهِ، قال صلى الله عليه وسلم:

### (( من غش فليس منا ))

[رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه مسلم في حديث: ما هذا يا صاحب الطعام..]

وكلمة غش جاءت مطلقة، بل إن غش غير المسلمين أشد إثمًا، لأنه يؤدي إلى جرح مكانة الدين، فأنت أيها المسلم على ثغرة من ثغرة الإسلام فلا يُؤثِنَنَّ من قبلك .  
روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه:

(( أن رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ، فأدخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي ))

[رواه مسلم]

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اتهموا لم يخونوا، وإذا باعوا لم يطرخوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا كان عليهم لم يمتطوا، وإذا كان لهم لم يعسروا  
وقال صلى الله عليه وسلم:

(( من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته ))

[الفضاعي في مسند الشهاب عن علي]

فإذا ظلمهم، أو كذبهم، أو أخلفهم، فقد سقطت عدالته، لكن الفقهاء عدوا بنوداً كثيرة تجرح العدالة، منها: أكل لقمة من حرام، ومنها تطيف بتمرّة..

### أمثلة حية عن التجار الصادقين:

المبادئ والقيم والمثل لا تعيش إلا في المثل الحي، والمثل الحي يجسد المبادئ، ويحقق القيم، ويجعل الطريقة المثلى واقعا، والمثل الحي حقيقة مع البرهان عليها، والمثل الحي، نموذج إنساني خالد، ونبراس للأجيال من بعده، فأبو حنيفة النعمان رحمه الله أكرم علمه ونفسه، وحزم أمره على أن يأكل

من كسب يمينه، وأن تكون يده هي العليا دائماً، وقد أيقن أنه ما أكل أمرؤ لقمة أزكى ولا أعز من لقمة ينالها من كسب يده، لذلك خصص شطراً من وقته لكسب رزقه، فاتجر بالخز ( القماش ) وأثوابه، فكان له متجر معروف يقصده الناس، فيجدون فيه الصدق في المعاملة، والأمانة في الأخذ والعطاء، وكانوا يجدون فيه أيضاً، الذوق الرفيع : يأخذ المال من حله، ويضعه في محله، و كلما حال عليه الحول، أحصى أرباحه من تجارته، واستبقى منها ما يكفيه لنفقته، ثم يشتري بالبيا قي حوائج القراء والمحدثين والفقهاء وطلاب العلم وأقواتهم وكسوتهم.

ومثل حي آخر، الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان مثلاً أعلى في العدالة والرحمة والزهد، وقد أتعب الذين أتوا من بعده، ففي عهده وفد إلى المدينة المنورة رسول من أدربيجان، وقد وصلها في ساعة متأخرة من الليل، وكره أن يطرق باب أمير المؤمنين في هذا الوقت فتوجه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمع صوتاً فيه الأنين والحنين إلى الله، سمع صاحب هذا الصوت يقول: « يا رب، أنا واقف ببابك، مستمسك بحبالك، هل قبلت توبتي فأهني نفسي، أم رددته فأعزيها، فقال الرسول : من أنت يرحمك الله؟ قال : أنا عمر بن الخطاب، فقال : يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟ قال عمر : إنني إن نمت الليل كله، أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت النهار أضعت رعيتي، ويمكن أن في المسجد حتى صلاة الفجر، وبعد الصلاة يدعو عمر رسول عامله على أدربيجان إلى بيته، ويسأل عمر أم كلثوم زوجته، ماذا عندك من طعام يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: ليس عندنا والله إلا الخبز وبعض حصة الملح، ويتناولان هذا الطعام الخشن، ويسأل عمر ضيفه فيم جئتنا، فيقول، إن عاملك هناك أرسلني بهذه الهدية إليك علبه فيه بعض الحلوى، لا تصنع إلا هناك، فقال عمر : أو يأكل عامة المسلمين هناك هذا الطعام؟ قال : لا، هذا طعام الخاصة، قال : أو أعطيت كل فقراء المدينة مثلما أعطيتني، قال : لا، هذا لك وحدك، قال عمر : بلغ الأمير هناك أن يأكل مما يأكل منه عامة المسلمين، وألا يعود إلى مثل ها، وأمر الرسول أن يذهب بهذه الحلوى إلى فقراء المسلمين في المسجد، وأن يقسمها فيما بينهم، وقال قولته الشهيرة، حرام على بطن عمر أن يذوق حلوى لا يطعمها فقراء المسلمين.

كيف لا وهو الذي خاطب بطنه من قبل بعد أن حرمه اللحم أشهراً عدة في عام المجاعة، خاطبه فقال : « قرقر أيها البطن، أو لا تقرقر، فو الله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين .. »  
الله در صحابة رسول الله، ماذا نقول بحقهم؟ أنقول : إنهم بشر .. نعم، ولكن ليسوا ككل البشر .. أنقول: إنهم ملائكة .. نعم، ولكن في الطهر والصفاء والنقاء.

أيها الناس، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر تنصروا، إن

أكيستم أكثركم للموت ذكراً، وأحزمكم أشدكم استعداداً لها، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور.

والحمد لله رب العالمين

## الخطبة الثانية: الحاجز بين البحرين:

أيها الإخوة الكرام، انطلقاً من قوله تعالى:

( سَتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ )

[سورة فصلت]

## 1 - اكتشاف الحاجز بين البحرين المالح والعذب:

انطلاقاً من هذه الآية، لقد اكتشف العلماء الغربيون مؤخراً أن بين كل بحرين مالحين حاجزاً، تم تصويره من سفن الفضاء، هذا الحاجز يمنع مياه كل بحر من أن تختلط بمياه البحر الآخر، فلا يبغى بحر على بحر، بل يحافظ كل بحر على كثافة مياهه، ودرجة ملوحته، ونوع مكوناته، وهذا الحاجز ليس ثابتاً، بل هو متحرك بفعل الرياح، وحركة المد والجزر.

## 2 - السبق العلمي في القرآن الكريم:

وحينما أطلّ بعض هؤلاء العلماء، وهم في نشوة اكتشافهم هذا أن في القرآن الكريم إشارة إلى هذا الكشف العلمي، وهو قوله تعالى :

( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ \* فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ )

[سورة الرحمن]

أخذتهم الدهشة.. وقد اكتشفوا أيضاً أن بين البحرين، الملح الأجاج، والعذب الفرات شيين: حاجزاً يمنع مياه كل بحر من أن تطغى على الآخر، كما هو بين البحرين المالحين، وحاجزاً يمنع أسماك المياه المالحة من أن تنتقل إلى المياه العذبة.. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الكشف أيضاً.. وسمى الحاجز الأول برزخاً، والثاني حجراً.. فقال تعالى:

( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجوراً )

[سورة الفرقان]

أما طبيعة هذين الحاجزين فما زالت موضع الدراسة.

والحمد لله رب العالمين